الهواء

في البقعة الأكثر رملية
من الطريق، كان أثرك لايزال
هناك، ذلك النعل بنقوشه
الدقيقة، حظيرة لحيوانات صغيرة
مباركة. والشجرة
ذات الأغصان الصفراء، شرشف من
حزاز الصخر. كنت ألهو بسماع صوتك،
كنت أحدثك عن أوراق شجرة اللوز
على حفرة الجذع المحروق. ورأيت هناك
طائري سنونو
يطيران، حيث أشرت للسهل البور.

تحتل النساء الشرفة،
ويرين إلى الأطفال من هناك وهم يجرون،
يتركن الكلمات تسكن؛ لا أحد يعتني بالموائد
وما من مشروبات فوقها، فقط
وضعية ضد الزمن في أواخر يناير.
القمر بئر صغيرة،
الحياة لا تساوي شيئا.*
يحاك القماش متينا ورقيقا،
في قلب الشجرة،
بين أقدام المارة، الكيلومترات
تغذي الحلم، تسحقه
فى حوائط الرأس،
كما لو كان عليها أن تسدد ضربات
إلي الصدغ كي تفسخه.
ذراعاك هما ما يساويان
عندما في الليل تحتضنني.
الدوزنات جد معروفة،
المجرى المقطوع لأبيات الشعر،
درس آخر في الانتظار
في القلب، وريقات النعناع للمرة الثانية.

---

* *الأبيات مأخوذة من أغنية شعبية قديمة ربما تعود للقرن العاشر الميلادي Zorongo وهي رقصة شعبية أندلسية وقد قام لوركا بجمعها فيما جمع من أشعار وأغان شعبية. وقام الشاعر هنا بتحوير بسيط للأبيات حيث نجد في الأصل: " والأزهار لا تساوي شيئا " وأحل كاسادو كلمة الحياة محل الأزهار. م.

أخرج من المترو في النهار
في هذه الساعة منذ أسبوع
كان الوقت لا يزال ليلا. لا تهم
معرفتنا أننا سنفقده
في زمن محدد؛ ولا
أوراق الاشجار النادرة بين العمارات كذلك
ولا الضوء المعتم للغيم.
الآن أكثر من أي وقت مضى له طعم ألذ
عندما يكون كل شئ جديدا،
في منتصف الشتاء.

أسميه هواء
الحياة الجديدة، وهو باردا
يهب، شفافا
بالضوء الذي يبدأ في التفتح
في المساء، واضح المادة
بعد الأمطار الغزيرة.

سائح يقرأ مقرفصا
على ضوء عمود الإنارة
قائمة طعام العشاء؛ تكاد
تمسه العربات، العربات
القليلة التي تمر. يقرأ ببطء،
بالتفصيل، وعندما يقوم
ينظر للباب، يبتعد
خطوتين حتى يميز
لوحة أخرى مضاءة، ولوحات أكثر،
في شبه العتمة.
يقرأ بالترتيب. يصعد
السلالم بعد ذلك، يمضي
عبر زجاج قاعة الطعام الفارغة.
أوروبي، في منتصف العمر. أراه
من خلال النافذة، بالخلف،
يطوق ظهره
البيت المعتم.

يحمل النادل حتى ثمانية أطباق
مرة واحدة، تتوتر عضلات
ذراعه ويتحول إلى سلم من الموائد.
عندما تكون يداه حرتين
يلمس كتفه؛ يناوب بين فاعليته السيركية وبين
تكشيرة الألم. كنا نحدق فيه طوال الأكل.
مثلنا، عندما نواصل العمل فيما وراء الممكن.
نعم – تقولين –، لكننا كنا قد جننا من قبل.

أترك التليفون على المائدة
يرن كتعويذة.
كلما بدأ صوتك في الانسياب،
ينساب صوتي، يرق،
أكثر خفة، يرهف. عندما
نضع السماعة يكون البرد أقل.

أبقى نائما معك
رأسي فوق كتفي ورجلك فوق رجلي، تاركا
للرطوبة التي بدأت منذ لحظة أن تمتص.
بعدها أصحو في الحال- الدفء،
كل نقطة تلمسني من جلدك، راحة
إيقاعك عندما تتنفسين.

أسميه هواء
الحياة الجديدة. ولا أعرف
إذا ما كان يعينني أو ما إذا كان
يضعني أمام فراغ، إذا ما كان
شفافا أكثر من اللازم
وأراني من خلاله، وأستلم صافيا
الهيكل العظمي لتاريخي.

كانت نزهات غريبة.
أذكره جالسا في غابة الصنوبر،
كان يختار عصيا صغيرة من الأرض
وينكتها في الرمال، تنكسر أم لا، ليس
هناك من منطق. كان ينظر إلى الأصفر الممتد على البعد
وفي الشعور بالرفض،
بالطرد، كان يتعرف على نفسه.
على الأسفلت، في بداية
المساء، القماش السميك
لبنطلونه الجينز كان يحرق
من حين إلى آخر
كعبه العاري.

رغم أنها على ارتفاع منخفض،
فإن الشمس توزع حياة على: أشجار الحور
الحادة والذهبية، على الأعصاب الفارغة من الحور الأسود،
على نبات السعادى الجاف
وعلى الأرض الطينية. بقيت
بعض الساحات المضاءة
بجانب النهر، وقد سوتها الريح.
في الليل، متأخرا جدا،
تضعين رأسك على كتفي،
فأضغطها إلى خدي.

لا يمكنني تحاشي الشعور
بأنني أمضي عبر فضاء مكتوب
وأنني كنت أصنع تاريخا
من هذه الأشياء والآن هي تنظر إلي
كمكان داخلي. فتحة المترو،
محل الزهور، الشاشات في فاترينة
صالون التجميل، الصيدلية
بديدانها المعبأة في قارورات، أصغي
إذا ما كل هذا سكت، أصغي
إلى ما يقولونه عندما يتكلمون. الكتابة
تنتج كتابة، ترسم أرصفة
في منتصف الحياة. بيد أنه غريب،
موضع عدائي ومفتوح
في تطلبه.

قطار ضفة النهر
يعبر واديا مضيئا،
تلمع أسطح البرك الصغيرة،
الأغصان العارية في الأجمات،
النقاط البيضاء الأولى لأشجار اللوز،
خطوط تلمع في حلكة القاع. الزجاج
يجمع القطرات الكبيرة الأولى،
المجاري السريعة، الموروبة. آخذ
بعضا من هذه الموسيقى التي تنوم،
كنوع من الدوزنة غير الواضحة
القادمة من الهواء. أذن ناعمة
تبدو كبذرة الأكاسيا في الجيب،
شحمة أذن رقيقة، شفة.

يعرف فقط ما قد كان،
فرويد أو أفلاطون، العودة
للوراء نفسها، أن تذهب لتحفر. سلم
شفاف، تكتل مشدود بأجفان الخشخاش.
ضد أفلاطون، الجديد،
الذي لم يكن، بلد
من تراب، عيون في الوجه.

هذه المرة عدت فقط
من أجل زهور نولدي*
– أوركيديا، زهرة الصيف –،
الحياة غير المعهودة لألوانه القاتمة؛
فركتها، رحت أكتشفها
دون كلمات. بعد ذلك تعرفت عن قرب شديد
على الحركة الخفيفة للأكواريل في الماء، على
اللون ينساب عبر الماء، متوقفا
فجأة. الطاقة،
نبض الصدفة.

* إشارة إلى الرسام التعبيري الألماني إيميل نولدي (1867-1956) Emil Nolde. م.